العقل عند الفلاسفة المسلمين

الإسم/ محمود مصطفى عثمان عبدالعزيز
باحث دكتوراه قسم الفلسفة

الملخص:

تناولت فى هذا البحث طبيعة العقل ومنزلته فى فكر الدكتور عبد الحليم محمود، وكذلك لهذه المسألة البحثية عند فلاسفة الإسلام والمتكلمين، وقد ركزنا فى عرضنا لهذه للمسألة على وجه الخصوص عند الفلاسفة المسلمين وخاصة لدى كل من الكندى والفارابى وابن رشد، وبينا كيف نظر كل منهم إلى العقل ومكانته فى ضوء مذهبه الفلسفى مبينا رؤيتهم فى إشكالية العلاقة بين النص والعقل تلك القضية التى برزت لدى الفلاسفة المسلمين، وقد تناولتها فى فكر الدكتور عبد الحليم محمود إذ كانت رؤيته منبثقه فى إطار المنهج الإسلامى المعتدل القائم على التوفيق دائما بين النص والعقل أو العقل والنقل إذ كان البعض من الفرق الإسلامية – وعلى سبيل المثال المعتزلة وغيرها – وقد عولوا – المعتزلة –على العقل تماما فى فهم وبحث كل قضايا العقيدة الإسلامية وما يتفرع عنها، بالإضافة إلى بحث القضايا الفلسفية الرئيسة كالوجود والله والعالم والإنسان والمعرفة والأخلاق والقيم وغيرها من قضايا والتى كان للفلاسفة موقفا منها تبعا لمذاهبهم الفلسفية سواء كان اتفاقا او اختلافا فيما بينهم فى نظرتهم للعقل.

الكلمات المفتاحية:

العقل والنقل – النص – الكندى – الفارابى – ابن رشد – عبد الحليم محمود

Summary:

In this research, I dealt with the nature of the mind and its status in the thought of Dr. Abdel Halim Mahmoud, as well as this research issue among the philosophers of Islam and theologians. His philosophical doctrine, indicating their vision in the problematic relationship between the text and the mind, that issue that emerged among the Muslim philosophers, and I dealt with it in the thought of Dr. Islamic - for example, the Mu'tazila and others - and they relied - the Mu'tazila - on the mind completely in understanding and discussing all the issues of the Islamic faith and what derives from it, in addition to examining the main philosophical issues such

as existence, God, the world, man, knowledge, morals, values and other issues that philosophers had a position on according to their doctrines Philosophical, whether agreement or disagreement among them in their view of the mind.

key words:
Reason and transmission - text - Al-Kindi - Al-Farabi - Ibn Rushd

مقدمة:

اهتمَّ الإسلام بالعقل اهتمامًا كبيرًا، وأعلى من شأنه، ورفع قدره، فهو نعمةٌ كبرى، ويكفي دليلاً على ذلك أنْ جعله مقياساً لتفاضِل البشر وارتفاع منزلتهم، فقد قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[ونعى على أولئك الذين أهملوا عقلهم، فأضاعوا أنفسهم، فقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، فالعقل نعمة كبرى، به فضل اللهُ تعالى الإنسان على سائر خلقه، فقال جل وعلا في سورة الإسراء: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا). فقد تحدث القرآن الكريم عن العقل بصيغة التعظيم. ولقد اهتم فلاسفة الإسلام والمتكلمين بالعقل اهتماما كبيرا باعتباره وسيلة هامة فى بحث قضايا الوجود والعالم والإنسان، ومن هنا يأتى بحثتنا عن منزلة العقل لدى الدكتور عبد الحليم محمود وهو واحد من أبرز المفكرين المسلمين المعاصرين، كما أننا سنعرض لتلك المشكلة البحثية لدى فلاسفة الإسلام على وجه التحديد كالكندى والفارابى وابن رشد.

وتتمثل إشكالية البحث فى الإجابة على عدة تساؤلات هى:

- ما موقف الدكتور عبد الحليم محمود من العقل؟
- ما موقف الفلاسفة (الكندي والفارابى وابن رشد) من العقل؟
- ما موقف الدكتور عبد الحليم محمود من العلاقة بين النص والعقل؟

واعتمدت فى البحث على المنهج التحليلى من خلال تحليل أقوال وآراء بعض الفلاسفة، وعبد الحليم محمود.

اتبع السلف الصالح رضوان الله عليهم المنهج المعتدل الواضح إذ جعلوا العقل أحد مصادر المعرفة لكن قدّروه قدره ومكانته فما غالوا في ذلك، بل أوقفوه عند حدود الشرع الحنيف، لكن أصحاب المنهج الفلسفي والكلامي فإن الصحيح الغالب هو أنهم جعلوا العقل فوق النص وقدموا أحكام العقل على كل ما سواه حيث قالوا أن أدلة النقل أو النص لا تصل إلى اليقين، مع إظهارهم لأمر الشريعة وتعظيمهم إليها ثم

نجد ابن تيمية رحمه الله يقول "من قدم العقل على الشرع لزمه بطلان العقل والشرع، ومن قدم الشرع لم يلزمه بطلان الشرع، بل سلم له الشرع، ومعلوم أن سلامة الشرع للإنسان، خير له من أن يبطل عليه العقل والشرع جميعاً".[١]

ويأتي الدكتور عبد الحليم محمود (ت١٩٨٧م) ليؤكد ما سبق فيقول:" ليس للعقل إلا التسليم والخشوع والخضوع، أو بتعبير أدق ليس له إلا السجود.

والحقيقة أنه ليس سجوداً تعسفياً أو تحكمياً، وإنما هو سجود مصدره الإيمان اليقيني بأن هذا من عند الله تعالى وما دام من عند الله، فإنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، ولأنه أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير.

من ذلك نتبين أن الدين هاد للعقل، وان العقل يجب أن يخضع ويسجد للوحي.[٢]

وأكده ابن عربي (ت638هـ) فى منهجه على التمسك بالقرآن الكريم لفهم القضايا الروحانية لاقت تأييد ابن خلدون الذي وجد في القرآن الكريم النجاة، والطريق الأنجح لتجنب الإنزلاقات في مثل هذه القضايا، لأنها كلما تفرعت تفاقمت وتضاعفت" فتنفسخ طولاً وعرضاً، ويحار العقل في إدراكها وتقديرها فإذا لا يحصرها إلا العلم المحيط" فالأسلم للإنسان الذي لم تدرك نفسه الكثير إلى درجة الإحاطة أن يتشبث بحكمة الشارع سبحانه وتعالى مع ضرورة تجاوز النظر إلى الأسباب لأنها واد يهيم فيه الفكر ولا يظفر فيه بالحقيقة، وفي هذا يقول ابن خلدون" وربما انقطع مع وقوفه عن الارتقاء إلى ما فوق فزلت قدمه وأصبح من الضالين الهالكين نعوذ بالله من الضلال والخسران المبين"[٣]

أولا: إشكالية العلاقة بين النص والعقل:

قضية إشعار الهدى، وما هو إشعار الهدي: عندما يسوق الحاج هديه كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام لما حاجّ قارناً وساق الهدي، فمن تعظيم شعائر الله أن يشعرها، ويقلدها، فوضع في رقبتها علامة على أنها هدي، وأشعرها وذلك بجرحها من جهة السنام ليسيل الدم على صفحتها، فتُعلم بأنها هدي فلا توهب، ولا تباع، ولا تشتري، ولا تذبح إلا عند بلوغ الهدي محلة، وإذا ضاعت لا يمكن التصرف بها من قِبَل من يجدها، لأنه يعلم أنها هدي، ويقول بعضهم برأيه: إن الهدي قتله تعذيب للحيوان، فصادموا بعقولهم هذا النص الصريح من النبي عليه الصلاة والسلام فكيف توازن بين مصلحة تعظيم شعائر الله العظيمة بإيلام بسيط لبعير في منطقة السنام، منطقة الشحم الذي لا يكاد يتألم منها.

وأقول أن السبب في جعل النص مقدم على العقل في كل شيء لأن الله تعالى يقول (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا)[٤]

وقوله تعالى (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)(٥)

الفعل لا يمكن أن يخترق حجب الغيب، لا يمكنه أن يعرف المستقبل، لأن العقل قاصر، العقل محدود، حتى في الحاضر لا يدرك كل الحاضر، ربما يفكر الإنسان ويضرب أخماساً بأسداس ولا يتوصل على القرار الصحيح ويكتشف بعد طول التفكير واتخاذ القرار وتنفيذه انه كان قرار خاطئاً، إذا كان هذا القصور في فكر العقل في مسألة من مسائل الدنيا، فما بالك إذا تدخل العقل في رد النصوص الصحيحة، كيف إذا تدخل في الغيب، الإيمان بالغيب واجب، والغيب هو من أهم صفات المؤمنين قال تعالى (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)(٦)

فموقف المتكلمين(٧) من الاعتماد على العقل إذ جعلوه مصدر هداية وجعلوه أيضاً الأصل في تقرير العقائد، وجعلوا الشرع تابع له. بل وقدموه على النقل"، ولهذا فقد حصر المتكلمون الأدلة النقلية في جانب السمعيات ومنعوا أن تكون العقليات معلومة بالنقل، والسبب الذي أوقعهم في ذلك هو نظرتهم إليها على أنها أدلة سمعيه وتتوقف دلالتها على العلم بصدق المخبر بها، ومن أقوالهم الشاهدة بذلك نأخذ قول" القاضي عبد الجبار" المعتزلي الدليل إما عقلي بجميع مقدماته، أو نقلى بجميعها والأول العقل والثاني لا يتصور، إذا صدق المخبر لابد منه وأنه لا يثبت إلا بالعقل.(٨)

وهنا يشرح تلك المسألة الدكتور عبد الحليم محمود مسألة الاحتكام إلى العقل؟

قد حاولت الإنسانية منذ أن بدأت تفكر عقلياً في الإلهيات والأخلاق، أن تخترع مقاييس وموازين عقلية تعيش بها وتميز بين الصواب والخطأ، فكانت النتيجة إخفاقاً متتابعاً قديماً قد أخفق منهج أرسطو منطق القياس في معرفة حقائق الإلهيات والأخلاق. وكانت أخطاء أرسطو في هذين الميدانين لا تحصى لكثرتها، ولعنف الهجوم عليها يئس تلاميذ أرسطو(٣٢٢ ق.م) من إصلاح تلك الأخطاء التى وقع فيها، ولم يستطعيوا الدفاع عنها.

ثم تابع هذا الإخفاق إخفاقا أخر في منطق " فرنسيس بيكون (ت ١٦٢٦م)" منطق الاستقراء في الكشف عن عالم الغيب وعالم الخير وعالم الشر. وما كان يتأتى له أن يكشف عنها وهو منطق الكشف عن القوانين المادية.... وما لبث أن أخفق أيضاً في كشف الحقائق عن طريق العقل.

ثم أتى بعدهم " ديكارت(ت ١٦٥٠م)" محاولاً رفع العقل فوق مكانته وحدوده، مقحماً العقل في الجدل الذي لا ينتهي.

فالمعني الذي نستنتجه من كل ذلك هو استنتاج بديهي هو أن إيجاد حلول لمشاكل أو بمعني أدق واضح هو معرفة أسرار ما وراء الطبيعة والأخلاق عن طريق العقل هو أمر مستحيل.

بل إني أشبه العقل هنا بالعين ونظرها فكما أن للعين حد معين لا تستطيع أن ترى بعده كذلك العقل له حد معين لا يستطيع أن يتخطاه وإلا سوف يضل العقل وينحرف.

فمنذ النشأة الأولى للإسلام حتى نهاية القرن الأول الهجري كان المسلمين ومفكريهم وعلمائهم ملتزمون بالنص الديني قرآن وسنة فلم يحاولوا الابتداع بل التزموا المنهج الرباني والهدي النبوي، حتى نشأة المعتزلة والفرق الكلامية.

ثانيا: الفلاسفة وموقفهم من العقل:

الفلاسفة: اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها.[٩]

يقولون أن الشرائع لم تلزم العامة دون الخاصة، فإذا صار الرجل من عارفيهم ومحققيهم وموحديهم رفعوا عنه الواجبات، وأباحوا له المحظورات.

النقطة الأساسية أو نقطة البداية والنهاية عند الفلاسفة هي العقل منه يبدأ وإليه ينتهي، فالفلسفة هي الاستمرار في محاولات الوصول إلى حقيقة الشيء.

فالفلاسفة أو الفيلسوف على وجه الخصوص ذو استعداد يجعله قادرًا على فهم جوهر الشيء. ولكي نقف عند مفهوم فلاسفة الإسلام يجب أن نقف عند أهم تعريفات الفلسفة.

لقد تأثر فلاسفة المسلمين إلى حد كبير بالمنهج الأرسطي وجاءت تعريفاتهم للفلسفة متوافقة مع تعريفات أرسطو، وهم في الحقيقة لم ينكروا ذلك بل إن منهجهم اقتضى ذكر أراء السابقين وعلى رأسهم أرسطو ثم بعد ذلك يقدم الواحد فكره وجهده الفلسفي.

بحث الكندي (ت ٢٥٦هـ) قضايا الفلسفة بأبعادها ومسائلها المختلفة وقد اتخذ منهجا وطريقا للتوصل إلى الحقيقة والحق وهما الغاية التي يسعى إليها كل صاحب فكر. بحثاً عن العلل والأسباب القريبة للوصول إلى علة العلل العلة الأولي، وقد تابع أرسطو في تعريف الفلسفة إلا أنه تميز عنه عندما قال" بقدر الطاقة الإنسانية" لأن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى الحقيقة المطلقة. ذلك لأن الإنسان نسبى لا يعرف إلا ما هو نسبى فقط.[١٠]

فالكندي هنا تناول قضية الفلسفة وعلاقتها بالعقل مستخدما العقل في البحث الفلسفي ففي قولة بقدر الطاقة الإنسانية يصر على أن للعقل حداً معيناً لا يستطيع أن يتخطاه ولا يستطيع أن يصل إلى الحقيقة المطلقة إذن ما المقصود بالحقيقة المطلقة التي ذكر الكندي.

فقد عرف الكندي العقل: "بأنه العقل جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها"[١١]

ويقسم الكندي العقل إلى أربعة أقسام:

١- العقل الذي هو بالفعل دائما. وهو علة جميع المعقول والمعقولات، وهو العقل وهو متميز عن النفس مفارق لها هذا العقل هو الذي بالفعل أبداً وهو نوعية الأشياء.

٢- العقل الذي هو في نفس الإنسان بالقوة عاقلة وكلما كان الشيء بالقوة فليس يخرج غلى الفعل بذاته، فإذن النفس عاقلة بالقوة.

٣- العقل الذي هو في النفس بالفعل هو في النفس لأن النفس مستفيدة وخارجه بالعقل الأول إذا باشرنه إلى أن تكون عاقلة بالفعل، فإذا أتحدت بهذه الصورة العقلية فهي والفعل شيء واحد من جهة النفس.

٤- العقل المستفاد للنفس من العقل الأول والفرق بينه وبين العقل الثالث الذى بالفعل أن الثالث قنية للنفس متى شاءت استعمله في كالكتابة في الكاتب وأما الرابع فهو الظاهر في النفس متى ظهر بالفعل.(١٢)

ثم يأتي الفارابي (ت ٣٣٩هـ) وهو المعلم الثاني، ليعبر بالفلسفة عبورا جديداً أكثر اعتمادًا على العقل، صحيح أنه تأثر بأرسطو كما تأثر غيره من فلاسفة الإسلام إلا أنه أنشأ الفلسفة الإسلامية نشأة جديدة تأخذ في مسارها إلى روح التفلسف أرجح وأكثر.

وهنا سؤال: كيف اعتمد الفارابي على العقل ليصل غلى الملامح النهائية للفلسفة؟

تعتبر فلسفة الفارابي هي النبتة الأولي في الفكر العربي وهي أول بذرة انطلقت منها أعمال الفلاسفة العرب كابن سينا(ت٤٢٧هـ) وابن رشد(ت ٥٩٥هـ) ومن تبعهم.(١٣)

ففي مفهوم العقل عند الفارابي نجد أن الفارابي قد ارتبط بمعلمه يعقوب ابن إسحاق الكندي وقد تحدث بالاعتماد المباشر على العقل الفعال وقد رتب العقول البشرية إلى ثلاثة عقول.

أنواع العقول عند الفارابي:

الفارابي ميز بين عدة أنواع من العقل وهي:

- العقل عند الجمهور وهو العقل الذي تستخدمه عامة الناس للقول بأنه عاقلٌ والعقل هنا يحتاج إلى الدين فالدين عندهم هو الفضيلة والعاقل بنظر العامة هو الفاضل العارف بطريقته تجنب الشرور واستثمار الخير أفضل استثمار.(١٤)

- العقل عند المتكلمين: وهو العقل عند العلماء والمفكرين إذ يقولون هذا ما يقبله العقل وهذا مالا يقبله، ويعيب الفارابي على المتكلمين لأنهم يقولون بشي ويعملون بشي ويظنون بان العقل الذي يتحدثون به فيما بينهم هو العقل الذي تكلم عنه أرسطو طاليس في كتابه البرهان.(١٥)
- العقل الفطري: وهو ما وصفه أرسطو بأنه قادر على استيعاب مبادئ القياس الأولي.
- العقل الناشئ عن التجربة: هو العقل الذي يمتلكه الإنسان بالمواظبة والعمل، وهو عقل دائم التطور في حياة الإنسان ويضاف إليه في كل مرحلة قضايا لم تكون معروفة لدى الشص.
- العقل النظري: وهو عقل ورد عند أرسطو، ويقسم هذا العقل لمستويين:
- المستوي الأول: يتكون عن عقول مفارقه في ثلاث مراتب المرتبة الأولي: ويشغلها العقل الأول (الله)
- المرتبة الثانية: تشغلها العقول التسعة.
- المرتبة الثالثة: وهي عقل مفعال.

المستوي الثاني: عقل نظري يقسم إلى ثلاث مراتب:

المرتبة: عقل بالقوة – المرتبة الثانية: عقل بالفعل– المرتبة الثالثة: عقل مستفاد.(١٦)

وأخيرا العقل الأول:

هو نهاية سلسلة العقول التي ذكرها الفارابي.(١٧)

ويقول فيه أن الجسام السماوية يحكمها " محرك أول" تنتهي إليه دائما، ويوجد أيضا محرك ثان وهو الذي يحرك كرة الكواكب وهى ثابتة في فلكها.(١٨)

فالفارابي جعل العقل الإنساني على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولي: العقل بالقوة، المرتبة الثانية: العقل بالفعل، المرتبة الثالثة: العقل المستفاد.

أما عن المرتبة الأولي فقد جعل للعقل حدوداً وحده بقوله (هو نفس ما، أو جزء من نفس أو قوة من قوي النفس) ومن هنا للتبعيض وقال عن العقل بالقوة أيضاً شيء ما ذاته مُعدة أو مستفيدة لأن تنتزع ماهيات الموجودات كلها صورها دون موادها وتلك الصور المنتزعة عن موادها الصائدة صولا في هذه الذات هي المعقولات)

بل ووضع مصطلح للعقل بالقوة مصطلح العقل الهيولاني. وهو عقل لم ترتسم به المعقولات بعد ذلك سماه عقل بالقوة أو عقلاً هيلانياً.

أو بمعنى أخر جعل العقل بالقوة هنا كصفحة بيضاء لم يوضع فيها خط ولا حرف ولا كلمة وأيضاً لم تجرى عليه التجربة.

المرتبة الثانية:

هي العقل بالفعل وهو العقل بالقوة وقد حصلت فيه المعقولات بالفعل بحسب تعريف الفارابي الذي يقول (هو الذي تحصل فيه المعقولات التي انتزعها عن المواد معقولات بالفعل، وكانت قبل أن تنتزع عن موادها معقولات بالقوة)

اى أن العقل بالفعل انتزع صور المحسوسات من مادتها وجردها من الأين والمتي فتصبح كليات بعد تجديدها عن الأشياء الجزئية وارتسام المعقولات في العقل الهيولاني[١٩] ليكون عقلاً بالفعل لا يكون بجهده فقط بل يحتاج إلى قوة خارجه عنه تنقله من القوة إلى الفعل هو العقل الفعال.

ووظيفة العقل الفعال أو دوره المعرفي يقارب وظيفة ضياء الشمس في رؤية المرئيات فلولا ضياء الشمس لما كان البصر أن يرى الألوان والأشكال المرئية.

ثم نجد أن الفارابي تحدث في المرتبة الثالثة عن العقل المستفاد هو العقل بالفعل وقد حل على المعقولات المجردة كلها، وهنا سؤلاً:

هل العقل قادر بمفرده على تحصيل أنواع المعارف أم يحتاج إلى شيء خارج عنه يعينه على تحصيل هذه المعارف؟

ويرى الباحث: بعد الاطلاع على رأي الفارابي في تلك المسألة أن العقل الإنساني شبيه برجل يعيش في مكان حالك الظلام، ويحتاج إلى ضوء ليري الموجودات وهذا الضوء هو العقل الفعال.

والعقل الفعال هو: يعتبر الفارابي بأن العقل التام لم يعطي للإنسان من أول الأمر بل يحوّل بفعل تطوري نم عقل هيولاني لعقل بالفعل، وما هو بالقوة ليس لدية الكفاية للانتقال إلى حال يصبح عليها بالفعل إلا بفعل فاعل وهذا المعين كما يقول الفارابي العقل الفعال.[٢٠]

- **العقل عند ابن رشد:**

أخذت مسألة العقل وطبيعتها مكانة بالغة فى فلسفة ابن رشد، نظراً لمكانة العقل الكبيرة في حياة الإنسان ودوره في السمو الأخلاقي لدى الإنسان عبر الأزمان.

لقد وجد ابن رشد نفسه مدفوعاً للمساهمة في هذا النقاش من أجل تحديد طبيعة العقل والمسألتين المترتبتين عنها:

- مسألة وُحدة العقل.
- مسألة علاقة العقليين النظري، الهيولاني، بعاملين اثنين:

أحدهما: الاضطراب

الثاني: كون أرسطو لم يترك في الموضوع نسقاً

اتخذ منهج ابن رشد عدة إبعاد متنوعة ومتضافرة:

أولاً: عرض نظريات وأطروحات الخصوم وتحليلها وانتقادها بمنهج إشكالي يتوخي استخلاص الصعوبات والمحالات والتناقضات الكامنة من اجل إبراز هذه المدرسة إلى المدى الدرامي تمهيداً لحلها بموقف شخصي حتى لا تتكرر الصعوبات.

ثانياً: كان يستعمل منهجاً أخر ينم عن روحه العلمية بل، والتجريبية العميقة، فالكشف عن طبيعة العقل وتمديد هويته يلجأ أولا إلى التعرف على طبيعة العقل وقبله للتعرف على فعل التعقل.

ثالثاً: ارتباط مسألة طبيعة العقل الهيولاني في جد ذاته بسلسلة من المسائل تدور حول محور (الإشكال العقلي) فحيث أن النفس أصبحت كالجسم فإن وضعية العقل، الذي هو في ذات الوقت قوة للنفس ومميز عنها لعدم افتقاره إلى الجسم.

في نهاية الأمر تدور هذه المسألة حول تحديد هوية العقل عبر قطبي المفارقة والمحايثة[٢١] فاتخاذ موقف من هذين القطبين يقرر مضمون طبيعة العقل ومن ثمة باقي البناء الفلسفي في الميزان العقلي كما يقرره طيعة الاتجاه العام للفيلسوف وهويته الفكرية.

أقول: حاول ابن رشد أن يضبط رأيه من خلال ما قام بتميزه عن المدرستين معًا عن كل ما من شأنه أن يجعله محايثاً إلى حد المخالطة. كم حدث في الاتجاهات المادية وهو ما جعله مفارقاً إلى حد التعالي كما حدث ذلك من قبل في الاتجاهات المثالية لكن ابن رشد عندما أصبح بصدد تحديد طبيعة العقل، فعل ذلك بكل وضوح وحدد طبيعة العقل خصوصا العقل الهيولاني أثناء الرد على الموقف المادي خاصة كان للموقف المثالي النصيب الأكبر من نقده.

شارك التعدد الفكري الذي طبع وعي ابن رشد الفكري العربي بصفة عامة والوسط الغربي بصفة خاصة فقد كان جل اهتمام ابن رشد بالعقل اهتماماً كبيراً وكانت الموضوعات المتعلقة العقل من أهم هذه الموضوعات ابن رشد التي عالجها وكرس جهده الفكري فيها.

لقد حاول ابن رشد تقديم إجابات دقيقة حول هذا الإشكال المرتبط باتصال العقل بالإنسان. مبرهنا بذلك على أن العقل الهيولاني عقل خالد أزلي، لأنه من مظاهر النفس التي هي ذات مفارقة، وأن العقل الفعال هو كذلك يعتبر من مظاهر هذه الذات، فهو مشترك بين النوع الإنساني.[٢٢]

إن ابن رشد قد تناول المشكلات العقلانية عموماً من ناحية الصعود الجزئي إلى الكلي، ومن المحسوس إلى المعقول حتى يتسنى للفرد بعد ذلك أن يصل إلى الله.

ويتضح الأمر أكثر عندما تناول تلك المشكلات واتخذ بذلك مشكلة الاتصال بالتحليل العقلي الدقيق، مستخدماً الطريق الصاعد الذي ينتقل تباعاً من الحسي غلى المجرد.

إن ابن رشد كان مهتماً بالعلم بجانب الإيمان وهو الأمر الذي جعله في زمرة الفلاسفة المسلمين، فاهتمامه بالعلم وانطلاقا من تبريراته العقلانية اجتهد في إيجاد حلول لتلك المشكلة التي تركها له أستاذه وذلك من خلال كتابه النفيس، فالإنسان عنده يمكن أن يصل بملكاته الطبيعية والتجريبية على معرفة الموجودات الحقيقة.[٢٣] فتحقق الاتصال عند ابن رشد يتردى بالإنسان في نظرة إلى تحقيق السعادة القصوى والكاملة.

ثم نجد أن ابن رشد اعتمد على العقل ووظيفته، متمكناً بذلك من تحقيق التوافق بين الفلسفة والدين، ومنتقداً لبعض أراء الإمام الغزالي الذي جرم الفلسفة والفلاسفة مؤكداً على أن القرآن الكريم قد أكد على حجية العقل وجاعلاً من التأويل الأداة الأنجح لحل الخلاف والتعارض إن وجد بينهما.[٢٤]

ويرى الباحث: أن ابن رشد استطاع التعمق في الوسط الأوربي معتبراً أن الاعتماد على العقل الغربى فى شروح كتب أرسطو كان كبيرا، وعلى أثر هذه الشروح التى قدمها ابن رشد برز تيارًا فلسفيًا أطلق عليه الرشدية هذه الحركة حفزت جمع كبير من المفكرين من بينهم توما الأكوينى(ت١٢٧٤م).[٢٥]

فنجد مثلا في القرن الرابع عشر فقد رأى الرشيديون العقل مشترك بين الناس جميعاً لكن الأكويني كان من أشد من انتقد تلك الفكرة مخطأ إياه ومعتبراً أن ذلك إقصاء للفرد وتهميشه.

وعلى الرغم من معارضة الأكويني للفكرة الرشدية هنا إلا أنه كان موافقاً لكثير من الآراء وأفكار ابن رشد تأثر بها.

فقد تميز ابن رشد في تفسير حقيقة العقل خاصة عند أرسطو وتحديد طبيعته بدقة على أنه ملكه من ملكات النفس.

وأخيراً نجد أن ابن رشد قد جعل العقل هو المبدأ الوحيد الذى يجمع بين كل البشر، حيث يمكن إدراك وحدة الأفكار فيما بينهم وذلك دون أن تتنزع هذه الوحدة من فرديتهم في الفكر والثقافة أو الاستقلال التفكيري.

وأيضا فالنقد العقلي عند ابن رشد كان له دور كبير وأسهم في التطور الفكري الأوربي، حيث اشتمل على قضايا وأشكال فلسفية متعددة ومتنوعة شكلت أجهزة دفاعيه في مواجهة الكنيسة، وأظهرت جدلاً واسعاً في فترة من فتراتها بين مؤيد ومعارض وهى الفترة الإسكولائية.[٢٦]

ثالثا: موقف الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود من العقل:

تاريخ الفكر البشرى يضم الكثير من مسائل العقل والفكر، وهذه المسائل مسائل بحته طرحت للبحث العقلي قديما في العصور القديمة، وهى نفس المسائل العقلية التي طرحت في العصور الوسطي، ولا

زالت المسائل تُناقش حالياً في العصر الحالي، وأخص تلك المسائل هي مسائل ما وراء الطبيعة تعقبها مسائل البحث في الأخلاق والسلوك الإنساني.

ومن هنا جاء الخلل والشطط الفكري والعقلي وفي إطار هذه المسائل المتعلقة بما وراء الطبيعة فبدلاً من أن نرى جهد العقل في معركة الحضارة العلمية التي هي مدينة بوجودها للعقل البشري.

من المهم معرفة أن الدين الإسلامي من أجل النعم التي أنعم بها على الإنسان، وأولي الإسلام اهتماماً خاصاً بالعقل البشرى، سواء من حيث العناية بهذه النعمة العظيمة وأيضا المحافظة عليها ومن حيث توجيهها التوجيه الصحيح.

فمن ناحية المحافظة على نعمة العقل حرم الإسلام كل ما يؤدى إلى ضرر العقل أو مَسّه بسوء، ومن ناحية توجيه العقل وخاصة في مسائل ما وراء الطبيعة من أمور الغيب التي تعجز ومسائل الإدراك البشري عن الخوض فيها والتعامل معها.

يقول الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود " وانتهى الأمل في منهج ديكارت كما انتهى في منهج أرسطو في الوصول إلى حلول وإجابات في مسائل ما وراء الطبيعة التي بُحثت قبل الميلاد.

- ظنية
- مجالاً للبحث
- مختلف فيها
- الآراء فيها متعارضة من إنكار مطلق إلى إثبات مطلق.

والنقطة الأهم هنا هي عجز العقل وعدم قدرته على الوصول إلى اليقين أو معرفة وراء الطبيعة.

وهنا يشرح الدكتور عبد الحليم محمود قولهم (عجز العقل) فيقول إن للعقل دور مهم في الحضارة المادية أو له الدور الكبير فيها، بل إننا لا نعدو الصواب حينما نقول إن الحضارة المادية بأكملها من الإبرة إلى الصاروخ، ومن وابور الجاز إلى البوتاجاز، وإلى الآلات الكهربائية من عمل العقل إي العقل الذى أنتجها واخترعها، وعلى العقل قامت الحضارة المادية من أساسها.

أما إذا استقرانا التاريخ الفكري النظري البحت وجدناه عجز عجزا تاما عن دوره المثمر.

ولكن العجز هنا عجز في مجال العقائد وما وراء الطبيعة والأمور الغيبية وفي مجال الأخلاق وأن كل من يأمل أن يصل إلى يقين عقلي في هذه الأمور فهو مغرور وبرغم تلك الفترة الزمنية الكبيرة التي ثبت فيها عجز العقل عن إدراك الحقائق الغيبية أو ما وراء الطبيعة إلا أن البشرية لا زالت تسير في هذا الطريق المغلق. قال تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ، كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ)[٢٧]

وفي موضع آخر (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ، ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ)[٢٨]

ثم يتساءل الدكتور عبد الحليم محمود سؤالاً: كيف نصل إلى الحق في هذه المجالات؟ يقول فيه " إن الله تعالى قد تفضل على عباده فهداهم إلى الحق في هذه المجالات وذلك هداية واتباعا لرسالات الأنبياء عليهم السلام الذين تتابعوا واحداً تلو الآخر هادين الناس إلى الله تعالى وحده، مبشرين بالحق داعين إلى صراط الله، حتى إذا انتهت حكمته تعالى بإرسال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام خاتماً للنبيين والمرسلين تكفل عز وجل بحفظ الرسالة ممتثلة في القرآن الكريم، قال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[٢٩].

وكأنه سبحانه وتعالى يقول لقد أرسلت لكم رسولاً دائماً، وهو القرآن الكريم الذي ضمنت حفظه ولستم في حاجة إلى إرسال بعده، فرسالته خالدة مستمدة أبدية خالدة، إنها الصراط المستقيم، وهي الهداية الدائمة.[٣٠]

ثم يوضح الدكتور عبد الحليم محمود أن العقل الذي برع في التفكير واختراع الأدوات والوسائل التي تطورت بسببها الحياة عاجز عن فهم أمور الدين بمفرده إذن فالعقل هنا ليس له إلا التسليم والخضوع أو بتعبير أدق السجود والسجود هنا ليس سجوداً تعسفياً أو تحكمياً، وإنما سجود مصدره الإيمان اليقيني بأن هذا من عند الله وما دام من عند الله، فإنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلافه.

فالقرآن الكريم لا يستشير الإنسان ولا عقله في أي قضية من القضايا التي جاء بها الوحي، ولا يحتكم الوحي إلى الإنسان باعتبار حكماً في أي مبدأ من مبادئه، ولا يطلب من مشورة في أي قاعدة من القواعد التي شرعها بل هذه الأوهام لا تدور في خلد المؤمن الذي صدق إيمانه وخضعت جوارحه... وإذا كان القرآن الكريم قد طلب من الإنسان إعمال عقله بالتفكير، إنما أراد العظة والاعتبار، تفكروا لتروا أن ذلك هو الحق، وانظروا بعيونكم وعقولكم لتعلموا أن ذلك هو الخير.

لكن إن حاد الإنسان ببصيرته وعقله عن ذلك فهو عين الجور والفساد وأصبحتم تروا الخير شراً والشر خيراً وأصبحتم كالأنعام بل أضل سبيلاً، وذكر الدكتور عبد الحليم محمود أن السلف الصالح رضوان الله عليهم كانوا ينزعون هذه النزعة، نزعة الخضوع المطلق لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يسجدون للنص، يسجدون بجوارحهم وقلوبهم، وأرواحهم، وعقولهم فكانوا يخضعون عقولهم للنص... وكانوا يعرفون أن إدخال شخص في النص إنما هو انحراف يعظم أو يقل بحسب مدى التدخل البشري في النص، وكانوا يعرفون أن الوحي إنما جاء هادياً للعقل وقائد له في الأمور التي لا يتأتى للعقل أن يلج ميادينها أو يقتحم حماها أو يدلى فيها برأيه برأي يتفق عليه الناس. والدين ليس رأى بشري، إنه تنزيل من حكيم حميد".

يروى أبو داود والدار قطني عن سيدنا على رضي الله عنه قال: " لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله يمسح على ظاهر خفه"[٣١]

ثم يربط الدكتور عبد الحليم محمود بين دعاة العقل حديثا وبين وجود الإنسان على ظهر الأرض فيقول " ويحاول الإنسان أن ينزع نزعة بشريه بحته وبتصرف في الوحي الإلهي نقصاً وزيادة، وبتراً وإضافة، وتغيراً وتبديلاً ويحاول أن يقيم كل ذلك على قواعد يزعمها صحيحة: فيقول مثلاً:

الحكمة في تحريم شرب الخمر إنما هي المفاسد التي تنشأ من الشخص الشارب، فإذا انتفت هذه المفاسد فلا مانع من الشرب، وكذا في التكاليف الدينية التي تصلح من الضمير فإذا كان الضمير صالح فلا لزوم للتكاليف الدينية والعياذ بالله.

وهكذا مع بقية أمور الدين يخرج الإنسان بأهوائه، ولا نقول بعقله لأن كل ذلك أهواء يصورها الشيطان منطقاً معقولاً عن الدين كما اخرج إبليس قديماً بأهوائه التي تمثلت لذهنه منطقاً عن الدين.[٣٢]

والحق الذي لا شبهة فيه أنه لا تعارض بين العقل والنص يقول ابن القيم" وكل من له مسكه من عقل يعلم أن فساد العقل وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، فلا إله إلا الله كم نفي بهذا الآراء من حق، وأثبت بها باطل، وأحيت بها من هدي وأحي بها من باطل، وكم هدم من معقل إلا الإيمان، وعمر بها من دين الشيطان إن الله تعالى خلق عقل العباد محصوراً، لا يدرك أموراً كثيرة وجعل له وظائف.

فالعقل له مجاله وله أمور كثيرة فعند النظر في كلام الدكتور عبد الحليم محمود في قوله (إن الحضارة المادية بأكملها من الإبرة إلى الصاروخ... قامت على عمل العقل)

إذن فالعقل له دوره ومكانته في التطور البشري وأيضا في التطور الفكري لكن بحدود لابد له أن يقف عندها. فمثلاً اجتهاد العلماء عن طريق الفكر العقلي في استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة الشرعية مثل القضايا المستجدة كالصلاة في الطائرة، والصيام في البلدان التي يتصل فيها الليل والنهار، وقضايا أطفال الأنابيب والحقن المجهري حيث قد أفتي الدكتور عبد الحليم محمود منذ فترة طويلة بحرمة إجراء العمليات التي تخص أطفال الأنابيب ثم ما لبس الأزهر الشريف ودار الإفتاء المصرية بحل تلك العمليات وأنها حلال لكن بضوابط شرعيه.

وأيضا من وظائف العقل عمارة الأرض، والبحث عن الكنوز والثروات والمعادن في باطن الأرض، وما توصل العلماء لهذه الكنوز والمعادن إلا عن طريق الأقمار الصناعية التي اخترعها الإنسان بعقله فخدمت البشرية وازدادت عمارة الأرض، ومن وظائف الإنسان أيضا عندما يفكر في خلق الله تعالى، وحسن صنعه فيزداد المسلم إيماناً على إيمانه ويهتدي العاصي ويرجع الكافر إلى ربه متضرعاً.

ولذلك يقول الدكتور عبد الحليم محمود:" فإن الإنسان وإن بلغ نهاية الكمال في الإنسانية فإن منزلته عند ذوي العقول الإلهية العقول التي استنارت بالوحي وسمت بالمبادئ الإلهية منزلة الصبي والحدث الغمر عند الإنسان الكامل.(٣٣)

فالعقل له مجالاته التي يفكر فيها ويبتكر، هي الأمور المختصة بالدنيا من علوم شتى كالطب والفيزياء والرياضيات وغيرها من العلوم أما العلوم الدينية وأخص أمور الشريعة فإنها محكمة ومنزلة من الله تعالى وهي الشريعة التي أنزلها الله تعالى عن طريق الوحي، وسبيل المسلم فيها الانقياد التام والتسليم والخضوع.

-إذن هل يستطيع العقل فهم أمور الشريعة بمفرده؟

ويرى الباحث: إن الناس متفاوتون في العقل والفكر ومقدارهم من العقل مختلفة فلو استقل بنو البشر بعقولهم في جميع احتياجاتهم الدينية والدنيوية واستقلوا أيضا في جميع المعارف وجميع الصناعات وما كان أحد يحتاج إلى أحد وهذا أمر مردود، فيقول في ذلك الشيخ أبو سليمان المنطقي: " منازل الناس متفاوتة في العقل، وأنصابهم مختلفة فيه"

وهذا أيضا ما أكده الصحابي الجليل سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما قال المشركون صبيحة ليلة الإسراء ليخبروه أن الرسول صلى الله عليه وسلم يزعم أنه أسري به من مكة إلى بيت المقدس ثم عاد في ذات الليلة وهم الذين يضربون أكباد الإبل شهراً ذهاباً وشهراً إياباً، وكان ظنهم أنه سيكذب صاحبه أو يشكك في نسبة الكلام إليه، ولكن قال تلك المقولة التي خلدها التاريخ إلى يوم القيامة إن كان قال فقد صدق. الخضوع والاستسلام للوحي وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم. فالعقل البشري لا يستطيع أن يفهم أمور الشرع بقدرته العقلية ولكن لابد النصوص الشرعية حتى يفهم.

هل العقل أولاً أم النص:

من المسلمات التي لا نقاش فيها في حياة المسلمين أن النصوص الشرعية هي الحاكمة، والعقل تابع لتلك النصوص، وهو الحاكم في كل الأحوال.

يقول الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود: "هناك طائفة من الطوائف لم تسجد لله تعالى إلا سجوداً شكلياً، وهم طائفة المعتزلة، لم يسجدوا لله تعالى سجود خضوع وإذعان والسبب في ذلك أن منهجهم قائم على تحكيم العقل وقدموه على النص بل ووصل الأمر بهم أنهم يوجبون على الله تعالى بعض الأعمال تعالى الله عن ذلك علو كبيرا، فهم يحرمون عليه، ويحرمون عليه بعضها، فوضعوا أنفسهم بعملهم هذا موضع المشرعين لله تعالى، يلزمونه سلباً ويلزمونه إيجاباً، وزين لهم الشيطان أعمالهم، وصدق فيهم قول الله تعالى " أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ" (٣٤)

ثم أنهم تجرؤا وخاضوا فيما نصح الدين بعدم الخوض فيه، كالذات الإلهية والصفات، وكالقدر، وقد اتبعوا أهوائهم، وكان لابد أن يختلفوا ويتفرقوا وتذهب بهم الأهواء كل مذهب، فكانوا فرقاً وأحزاب شتي، لا

تكاد تدخل تحت الحصر، وكل من نهج النهج العقلي في الدين، في العصر الحاضر، إنما هو اتباع المعتزلة، ولا مناص من الإقرار بأن مدرسة الشيخ محمد عبده إنما هي مدرسة اعتزالية في غاياتها وأهدافها والسبب في ذلك أنها تضع قضايا الدين في ميزان عقلها، فتنفي وتثبت حسبما تقتضيه الأهواء والنزعات.

والمدرسة العقلية في الدين أينما وجدت في أي زمان أو مكان لم تسجد لله تعالى سجود خضوع وإذعان، وإنما سجدت للعقل قال تعالى " وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا "(٣٥) (٣٦)

ويرى الباحث: من البديهي والمسلم به لدى صحيح الفكر والعقل أن العقل الإنساني مثل بقية أعضاء الجسم له طاقة محدود وله أيضا خواص معينة ومن الأخطاء الفادحة أن نطالب العقل بأمور خارجة عن الطاقة التي أودعها الله تعالى فيه، فإذا طولب العقل بأمور فوق طاقته كان عاجزا أمام تلك المطالب ولم يأتي فيها بجديد بل وحاد عن الصواب.

يقول السفاريني(ت ١١٨٨هـ) رحمه الله " فإن تسليط الفكر على ما هو خارج عن حده تعب بلا فائدة ونصب من غير عائدة وطمع في غير مطمع وكد في غير منجع"(٣٧)

والعقل هو احد الضرورات الخمس التي أمرت الشريعة بحفظها وصيانتها فأمرت بحفظ العقل وصيانته وقد حفظ الدين الإسلامي العقل من ناحيتين:

الأولى: الجانب الوجودي: وذلك عندما أكد الإسلام على تعلم العلم النافع الذي يرفع من شأن العقل ويزيد من في قوة الإدراك ويعمق الفكر العقلي فقد جعل الإسلام بعض أمور العلم فرض على كل مسلم ذكر أو أنثي لا يعذر أحد بجهله، وجعل أيضا في بعض أمور العلم فرض كفاية.(٣٨)

الثانية: في جانب العدم فقد أمر الإسلام بحفظ العقل عما يؤثر فيه بأي شكل سلبي وهذا يتضح فيما يلي:

- يقول ابن قدامه(ت ٦٢٠هـ):"حرم الإسلام الجناية على العقل بالضرب والترويع، وجعل الدية كاملة على من تسبب في إزالته.(٣٩)
- نجد أن الإسلام حفظ العقل وحفظ وظائفه من أي ضرر يلحق به كشرب الخمر والمسكرات، وذلك واضح في الشرائع السماوية، وأي مفسدة قد تضر العقل أمر الإسلام بالابتعاد عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " (كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ)(٤٠)

هل يوجد تعارض فعلي بين العقل السليم والنقل السليم:

الحقيقة التي لا شك فيها أنه لا تعارض بين العقل والنقل. فالنصوص الشرعية من كتاب الله تعالى والسنة النبوية المطهرة لا تعارض ولا ثمة جدال بينهم وبين العقل (العقل السليم الخالي من الشهوات والبدع والخرافات) فلا تعارض بين دليل عقلي، وبين دليل نقلى قطعي، أما إن كان الدليلين ظنيين.

تعريف الدليل[٤١]: لغة الإرشاد وما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه، وجمعها دلائل ودلالات. في الاصطلاح هي ما النظر فيه يفضى إلى العلم. قاله أبو الحسن البصري، وقيل ما يلزم من فهم شيء فهم شيء آخر. قاله ابن النجار، والدالّ فهو المبين لغيره بنصب الدليل... وهو أيضا ما دل على صوابك، والحجة ما دفع عنك مخالفك.

ويطلق البرهان على الدليل، فالبرهان بمعني الدليل تماما قاله القرافي/ المراد بالدلالة ما أفاد القطع، وبالإمارة ما أفاد الظن، وأما كلمة ظني تستعمل بمعنى الشك وبعض اليقين قاله ابن فارس (الظاء والنون أصيل يدل على معنيين مختلفين يقين وشك)

وبعض العلماء لم يجعلوا الدليل الظني يقينا بل فصّلوا في ذلك:

- أفاد اليقين إذا كان بتدبر وتفكّر ولا يقال من اليقين عيانا أنه ظني.
- كل ظني في القرآن الكريم من المؤمنين فهو يقين، ومن الكافر فهو شك.
- الظن إن كان في مقام ذكر الآخرة فهو يقين، وإن كان في مقام الدنيا فهو شك.

الظن اصطلاحاً:

للعلماء في تعريف الظن مسالك:

- أبو الحسن البصري (وأما الظن فهو تغليب القلب لأحد مجوّزين ظاهري التجويز.
- الباجي: الظن تجويز أمرين فما زاد لأحدهما، مزية على سائرهما.
- الأمدي: ترجيح أحد الاحتمالين في النفس عل الأخر من تميز قطع.

وغير ذلك كثير.[٤٢]

الخاتمة:

وخلاصة ما توصلت إليه فى هذا البحث أن أكد الإمام الدكتور عبد الحليم محمود أن العقل له دور كبير في قيام الحضارة الإنسانية، بل إن العقل نقل الحضارة بأكملها من الحياة البدائية إلى حياة التقدم والتطور، ومع ذلك يعجز أن يستقبل أمور العقيدة أو الأخلاق بمفرده.

كان موقف المتكلمين من العقل أنهم احتكموا إليه وجعلوه مصدر هداية وجعلوه أيضاً الأصل في تقرير العقائد، وجعلوا الشرع تابع له. بل وقدموه على النقل" ولهذا فقد حصر المتكلمون الأدلة النقلية في جانب

السمعيات ومنعوا أن تكون العقليات معلومة بالنقل، والسبب الذي أوقعهم في ذلك هو نظرتهم إليها على أنها أدلة سمعيه وتتوقف دلالتها على العلم بصدق المخبر بها.

فالكندي هنا تناول قضية الفلسفة وعلاقتها بالعقل مستخدما العقل في البحث الفلسفي ففي قولة بقدر الطاقة الإنسانية يصر على أن للعقل حداً معيناً لا يستطيع أن يتخطاه ولا يستطيع أن يصل إلى الحقيقة المطلقة إذن ما المقصود بالحقيقة المطلقة التي ذكر الكندي.

فالفارابي جعل العقل الإنساني على ثلاث مراتب: المرتبة الأولي: العقل بالقوة، المرتبة الثانية: العقل بالفعل، المرتبة الثالثة: العقل المستفاد.

فالعقل له مجالاته التي يفكر فيها ويبتكر، هي الأمور المختصة بالدنيا من علوم شتى كالطب والفيزياء والرياضيات وغيرها من العلوم أما العلوم الدينية وأخص أمور الشريعة فإنها محكمة ومنزلة من الله تعالى وهي الشريعة التي أنزلها الله تعالى عن طريق الوحي، وسبيل المسلم فيها الانقياد التام والتسليم والخضوع.

الهوامش

(١) ابن تيمية، تعارض درء تعارض العقل والنقل، تحقيق د/ محمد رشاد، ط ٢، جـ٣، الناشر إدارة الثقافة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٤١١هـ ١٩٩١م. جـ٥، ص ٢٨٦

(٢) عبد الحليم محمود، الإسلام والعقل، دار المعارف، ط٤، ، ١٩٩٨م. صـ ٢١

(٣) عرايسه سهام: ميزان العقل عند محي الدين ابن عربي، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة الأخوة منتورى، كلية العلوم الإجتماعيه والإنسانية، قسم الفلسفة، الجزائر،٢٠١١م ١٣٤

(٤) الأحزاب الآية٣٦

(٥) النساء الآية ٦٥

(٦) البقرة الآية ٣

(٧) عرف الإيجي المتكلمين وعلم الكلام بقوله"علم يقتدر معه إثبات العقائد الدينية، بإيراد الحجج ودفع الشبه" ثم عرفه التفتازاني " العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية، المكتسب من أدلتها اليقينية"

(٨) نجاة موسي الذيب: العقل مكانته ودلالته الشرعية على الأصول الاعتقادية، صـ٢٠

(٩) كتاب العرش، الإمام الذهبي، دراسة وتحقيق محمد بن خليفة التميمي جـ١، طـ١، مكتبة ضواء السلف السعودية، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م صـ ٣٨

(١٠) سمير مراد: العقل الفلسفي في الإسلام، ، طـ١،صـ١١٢، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،٢٠٠٠م

(١١) العقل الفلسفي في الإسلام صـ١٢٦

(١٢) المرجع السابق صـ١٢٧

(13)https://ar.wikipedia.org/wi

(١٤)عاطف مصطفي أبو زيد : العقول العشرة لدى الفارابي ومدى تأثيره لفلاسفة اليونان، مجلة كلية الآداب جامعة طنطا - المجلد ٢٠١٦، العدد ٢٩ صـ ١٢٠٥

(١٥) الفارابي، رسالة في العقل، بدون بيانات- صـ٤٠

(١٦) العقول العشرة عند الفارابي، مرجع سابق صـ١٢٠٧

(١٧) الفارابي رسالة في العقل، صـ ٤٦

(١٨) العقول العشرة عند الفارابي، صـ ١٢٠٩

(١٩) العقل بالقوة هو الاستعداد والمحض لإدراك المعقولات التي لا يمكن أن تكون لدى العقل ولكنه يكون مستعدا لقبولها وهيولاني نسبة إلى الهيول الأولي الخالية من الصور وصفحة بيضاء.

(٢٠) سليمان الظاهر، صـ٤٥٦

(٢١) في الأصل اللاتيني بمعني يمكث في، وهو مفهوم من المفاهيم الرئيسية للفلسفة التأملية التقليدية والمدارس المثالية المعاصرة، والمصطلح بهذا يرجع إلى أرسطو، أما بمعناه الدقيق فقد استخدم أول مره في الفلسفة المدرسية (الإ
سكولائية) في العصور الوسطي والمعني المعاصر للمصطلح هو الذي قدمه "كانط " والمحايثة في مقابل المفارقة المبادئ التي ينحصر تطبيقها ضمن حدود التجربة الممكنة والنقد المحايث هو نقد لفكرة أو نسق من الأفكار يتطلب من مقدمات الفكرة، أو النسق من الأفكار، والتاريخ المحايث للفلسفة هو تفسير مقالي للفلسفة على أنها عملية تحكمها فحسب قوانينها وأنها ليست خاضعة لتأثير الاقتصاد والصراع الطبقي والوعي الاجتماعي ، الموسوعة الفلسفية، وضع لجنه من العلماء، ترجمة سمير كرم، طبعة دار الطليعة، بيروت صـ٤٥٩

(٢٢) فاطمة الزهراء وقدي: نظرية العقل الفعال عند ابن رشد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن طفيل، القنطرة المغرب٢٠٢٠م. مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العام السابع، عدد٦٦، ص٩٠، ديسمبر٢٠٢٠ ص ٨

(٢٣) عاطف العراقي، النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، دار المعارف، ، ط٤، مصر ١٩٧٤م. صـ ١٢٠

(٢٤) فاطمة الزهراء وقدي : نظرية العقل الفعال عند ابن رشد، مجلة الدراسات الأدبية والفكرية مرجع سابق ، عدد٦٦، ص٩٠، ديسمبر٢٠٢٠، صـ ٩١.

(٢٥) توما الأكويني راهب دومينيكاني ولد ١٢٢٥م قرب قلعة والده الكونت. بدأ تعليمه الخامسة في ديدمونت كاسينو، وفي عام ١٢٤٥م أرسل للدراسة في كلية الآداب بباريس متخذاً من الفلسفة الأرسطية مرجع رئيسيي في بناء المشروع الفكري.

(٢٦) هي المدرسة الفلسفية التي بدأت في القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر وتُعرف بالمدرسة لأنها كانت تدرس في المدارس وهى مدارس كنيسيه تقام داخل الأديرة وهى مدارس رهبان، أو خارج الأديرة وهى مدارس أسقفيه لإعداد رجال الدين غير المترهبين، وفتحت باب النقد والسؤال والبحث بعدما كان مغلق بسبب تسلط الكنيسة، وهو الأمر الذي أثار في فكر ابن رشد واستطاع أن يرسم طريقا في النقد والتفكير

العقلي الحر المبدع فجل الإنسان ينفتح على غيره ويحاول جاهداً من إدراك العالم الذي يعيش فيه ويحيا فيه

(٢٧) الحج الآية ٣/٤

(٢٨) الحج الآية٨/٩

(٢٩) الحجر الآية ٩

(٣٠) الإسلام والعقل، د/عبد الحليم محمود، ط٤، صـ١١، دار المعارف، ١٩٩٨م

(٣١) الراوي، عن على ابن أبي طالب رضي الله عنه، المحدث الألباني، المصدر صحيح أبي داود، رقم ١٦٢، صحيح.

(٣٢)المرجع السابق، صـ٢٦

(٣٣) الإسلام والعقل، د/عبد الحليم محمود،ط٤، ،دار المعارف،١٩٩٨م صـ٢٨

(٣٤) فاطر الآية ٨

(٣٥) النساء الآية ١١٥

(٣٦) الإسلام والعقل، مرجع سابق، صـ ٣٩,٤٠

(٣٧)محمد بن أحمد السفاريني : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيئة في عقدة الفرقة المرضية، ج ١ مؤسسة الخافقين – دمشق - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م - ص ١٥٠

(٣٨) الاتجاه العقلاني لدى المفكرين الإسلاميين المعاصرين، لسعد بن عيضه الزهراني (٤٤,٤٦/١) بتصرف

(٣٩) ابن قدامه : المغني - تحقيق: طه الزيني - ومحمود عبد الوهاب فايد - وعبد القادر عطا ومحمود غانم غيث - مكتبة القاهرة- الطبعة: الأولى – ١٩٦٩ - (ص٤٩٧/ج١٢)

(٤٠) رواه البخاري، (١/ ٩٥)، (ح٢٣٩)؛ ومسلم، (٣/ ١٥٨٥)، (ح٢٠٠١).

(٤١) محمد معاذ مصطفي الخن: القطعي والظني في الثبوت والدلالة، تقديم د/ مصطفي الخن، دار الكلم الطيب، ط ١، دمشق ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م. (صـ ٢٥,٢٨,٢٩)

(٤٢) المرجع السابق، صـ٧٨,٧٧,٧٦.

المصادر والمراجع:

١. ابن تيمية، تعارض درء تعارض العقل والنقل، تحقيق د/ محمد رشاد، ط ٢، جـ٣، الناشر إدارة الثقافة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، جـ٥، السعودية، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٢. ابن قدامه : المغني - تحقيق: طه الزيني - ومحمود عبد الوهاب فايد - وعبد القادر عطا ومحمود غانم غيث - مكتبة القاهرة- الطبعة: الأولى – ١٩٦٩ - (ص٤٩٧/ج١٢(

٣. سمير مراد: العقل الفلسفي في الإسلام، ، ط١،صـ١١٢، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،٢٠٠٠م

٤. عاطف العراقي، النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، دار المعارف، ، ط٤، مصر ١٩٧٤م.

٥. عاطف مصطفي أبو زيد : العقول العشرة لدى الفارابي ومدى تأثيره لفلاسفة اليونان، مجلة كلية الآداب جامعة طنطا ـ المجلد ٢٠١٦، العدد ٢٩
٦. عبد الحليم محمود، الإسلام والعقل، دار المعارف، طـ٤، ، ١٩٩٨م .
٧. عبد الرحمن بدوي موسوعة الفلسفة، ، جـ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٤ بيروت.
٨. عرايسه سهام: ميزان العقل عند محي الدين ابن عربي، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة الأخوة منتورى، كلية العلوم الإجتماعيه والإنسانية، قسم الفلسفة، الجزائر،٢٠١١م
٩. الفارابي، رسالة في العقل، بدون بيانات
١٠. فاطمة الزهراء وقدي: نظرية العقل الفعال عند ابن رشد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن طفيل، القنطرة المغرب٢٠٢٠م. مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العام السابع، عدد٦٦، ص٩٠، ديسمبر٢٠٢٠
١١. محمد بن أحمد السفاريني : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيئة في عقدة الفرقة المرضية، ج ١ مؤسسة الخافقين – دمشق ـ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م
١٢. محمد معاذ مصطفي الخن: القطعي والظني في الثبوت والدلالة، تقديم د/ مصطفي الخن، دار الكلم الطيب، طـ ١، دمشق ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م